بسم الله الرحمن الرحيم

قِيمَةُ الْوَقْتِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ ١٣ رَجَب ١٤٤٧ هـ

أُوصِيكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَنَفْسِي بِوَصِيَّةِ اللهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ فَاتَّقُوا اللهَ - رَحِمَكُمُ اللهُ -؛ فَإِنَّ فِي تَقْوَاهُ السَّعَادَةَ وَالْفَلَاحَ فِي الدَّارَيْنِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِلْوَقْتِ أَهَمِّيَّةً عَظِيمَةً، وَقِيمَةً غَالِيَةً، وَمَكَانَةً نَفِيسَةً ثَمِينَةً، وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ الَّتِي امْتَنَّ اللهُ ﷻ بِهَا عَلَيْنَا. وَالْمُتَأَمِّلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أَنَّهُ قَدْ عَنِيَ بِالْوَقْتِ عِنَايَةً عَظِيمَةً، حَيْثُ سُمِّيَتْ أَرْبَعُ سُوَرٍ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِبَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَهِيَ: سُورَةُ الْفَجْرِ، وَسُورَةُ اللَّيْلِ، وَسُورَةُ الضُّحَىٰ، وَسُورَةُ الْعَصْرِ، كَمَا أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالْأَوْقَاتِ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾،وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَهَمِّيَّةِ وَوُجُوبِ اغْتِنَامِهِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لِنَحْذَرْ أَشَدَّ الْحَذَرِ مِنْ هَدْرِ الشَّبَابِ وَالْعُمُرِ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ وَاجْتِهَادٍ، أَوْ إِضَاعَتِهِ فِي الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَإِنَّ الْخَاسِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَجِدُ نَفْسَهُ بِلَا حَسَنَاتٍ تُثَقِّلُ مِيزَانَهُ، فَيَرْجُو يَوْمَهَا وَيَتَمَنَّىٰ الْعَوْدَةَ إِلَىٰ دَارِ الْعَمَلِ، فَلَا يُجَابُ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ ﷻ عَنْ هَذَا الصِّنْفِ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ :﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ

وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾.

إِنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ الْوَقْتِ، وَعَدَمَ الِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْأَزْمَانِ خَطَرٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّ الْغَفْلَةَ آفَةٌ قَاتِلَةٌ، وَدَاءٌ عُضَالٌ فَتَّاكٌ، وَطَرِيقٌ يَكْثُرُ فِيهِ السَّالِكُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ تَعَالَىٰ. وَمَعَ الْأَسَفِ فَقَدْ دَبَّ هَذَا الدَّاءُ فِي جَسَدِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُنْذُ عِدَّةِ قُرُونٍ؛ فَأَقْعَدَهَا عَنْ سَبِيلِهَا، وَأَوْهَنَ مِنْ قُوَاهَا، وَشَغَلَهَا أَيَّمَا شُغُلٍ عَنْ رِسَالَتِهَا وَغَايَتِهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَالْمُتَأَمِّلُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ يَرَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَنْذَرَ وَحَذَّرَ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْمُهْلِكِ، الَّذِي أَصَابَ الْأُمَمَ، وَأَقْعَدَهَا عَنِ السَّبِيلِ الْأَمَمِ، بَلْ وَحَلَّ بِهَا عِقَابُ اللهِ تَعَالَىٰ الْمُعَجَّلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الزَّمَانَ وَتَقَلُّبَاتِهُ أَبْلَغُ الْوَاعِظِينَ، وَالدَّهْرَ بِقَوَارِعِهِ أَفْصَحُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَلَئِنْ طَالَتِ الْحَيَاةُ بِأَحْزَانِهَا، أَوْ مَضَتْ بِأَفْرَاحِهَا فَغَايَتُهَا الْفَنَاءُ، وَالنَّاسُ يَعِيشُونَ فِي آخِرِ مَرَاحِلِ الدُّنْيَا. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا بِعَرَفَاتٍ، فَنَظَرَ إِلَىٰ الشَّمْسِ حِينَ تَدَلَّتْ مِثْلَ التُّرْسِ لِلْغُرُوبِ، فَبَكَىٰ وَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ عِنْدَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَدْ وَقَفْتَ مَعِي مِرَارًا لِمَ تَصْنَعُ هَذَا، فَقَالَ: ذَكَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ بِمَكَانِي هَذَا، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَىٰ مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَىٰ مِنْهُ».

فَاعْلَمُوا - عِبَادَ اللهِ - أَنَّ الْوَقْتَ ثَمِينٌ بِلَحَظَاتِهِ، وَيَزِيدُ نَفَاسَةً إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سُوَىٰ الْيَسِيرِ، وَاللهُ ﷻ أَقْسَمَ بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ كَتَبَ اللهُ لَهُ

فُسْحَةً فِي الْعُمْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْطَفُهُ الْأَجَلُ سَرِيعًا، وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ عَاشَ فِي لَحَظَاتِهَا لِيَرْتَقِيَ بِهَا إِلَىٰ آخِرَتِهِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ». وَالنَّاسُ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ قَصَرَهَا عَلَىٰ مَعَاشِهِ دُونَ مَعَادِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَمَّرَ آخِرَتَهُ فِيهَا، فَأَدَّىٰ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَاجْتَنَبَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا بِآخَرَ سَيِّئًا مِنْ غَفْلَةٍ وَاتِّبَاعِ هَوًىٰ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا». وَاللهُ ﷻ أَقْسَمَ أَحَدَ عَشَرَ قَسَمًا بِأَنَّ الْمُفْلِحَ هُوَ مَنْ زَكَّىٰ نَفْسَهُ، وَأَنَّ الْخَاسِرَ مَنْ أَوْقَعَهَا فِي الْمَعَاصِي، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

عِبَادَ اللهِ: الْحَيَاةُ مَلِيئَةٌ بِالْمِحَنِ وَالْفِتَنِ، وَقَدْ يَكْبُو الْمَرْءُ فِي زَلَّاتِهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ؛ وَلِذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: كُلَّمَا دَنَتِ الْحَيَاةُ مِنَ الزَّوَالِ لَاحَتْ فِتَنُهَا، وَظَهَرَتْ شُرُورُهَا، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اجْتَمَعْنَا إِلَىٰ رَسُولِ

اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْبَلَاءَ يَزْدَادُ عَامًا بَعْدَ عَامٍ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَىٰ مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّىٰ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا لَمْ يَمْتَثِلُوا أَوَامِرَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَوَقَعُوا فِي نَوَاهِيهِ، اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُهُمْ وَمَعَايِشُهُمْ؛ إِذِ الذُّنُوبُ مُذْهِبَةٌ لِلنِّعَمِ، مُزِيلَةٌ لِأَمْنِ النُّفُوسِ وَالْبُلْدَانِ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. وَأَعْظَمُ بُعْدٍ عَنِ اللهِ: التَّوَجُّهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِالدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَالنُّذُورِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: الْمُحْسِنُ مَنْ كَانَ يَوْمُهُ خَيْرًا مِنْ أَمْسِهِ، وَغَدُهُ خَيْرًا مِنْ يَوْمِهِ، وَاغْتَنَمَ الْحَيَاةَ بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَىٰ مَوْلَاهُ، وَشَغَلَهَا بِالطَّاعَاتِ، وَنَأَىٰ بِهَا عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَاتَّعَظَ بِمَا فِيهَا مِنْ تَقَلُّبَاتِ الْأُمُورِ وَالْأَحْوَالِ، وَكَانَ حَذِرًا مِنَ الِاغْتِرَارِ بِالسَّلَامَةِ وَالْإِمْهَالِ وَالْآمَالِ، فَمَا أَسَاءَ أَحَدٌ الْعَمَلَ إِلَّا مِنَ التَّسْوِيفِ وَطُولِ الْأَمَلِ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ كَفَاهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ صَدَقَ فِي سَرِيرَتِهِ حَسُنَتْ عَلَانِيَتُهُ، وَالْعَبْدُ إِذَا أَنَابَ إِلَىٰ اللهِ مِمَّا اجْتَرَحَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَالْتَمَسَ عَفْوَهُ وَرِضَاهُ، وَطَمِعَ فِي وَاسِعِ رَحْمَتِهِ وَعَطَايَاهُ؛ أَعْطَاهُ الرَّبُّ بِإِذْنِهِ فَوْقَ مَا يَتَمَنَّاهُ.